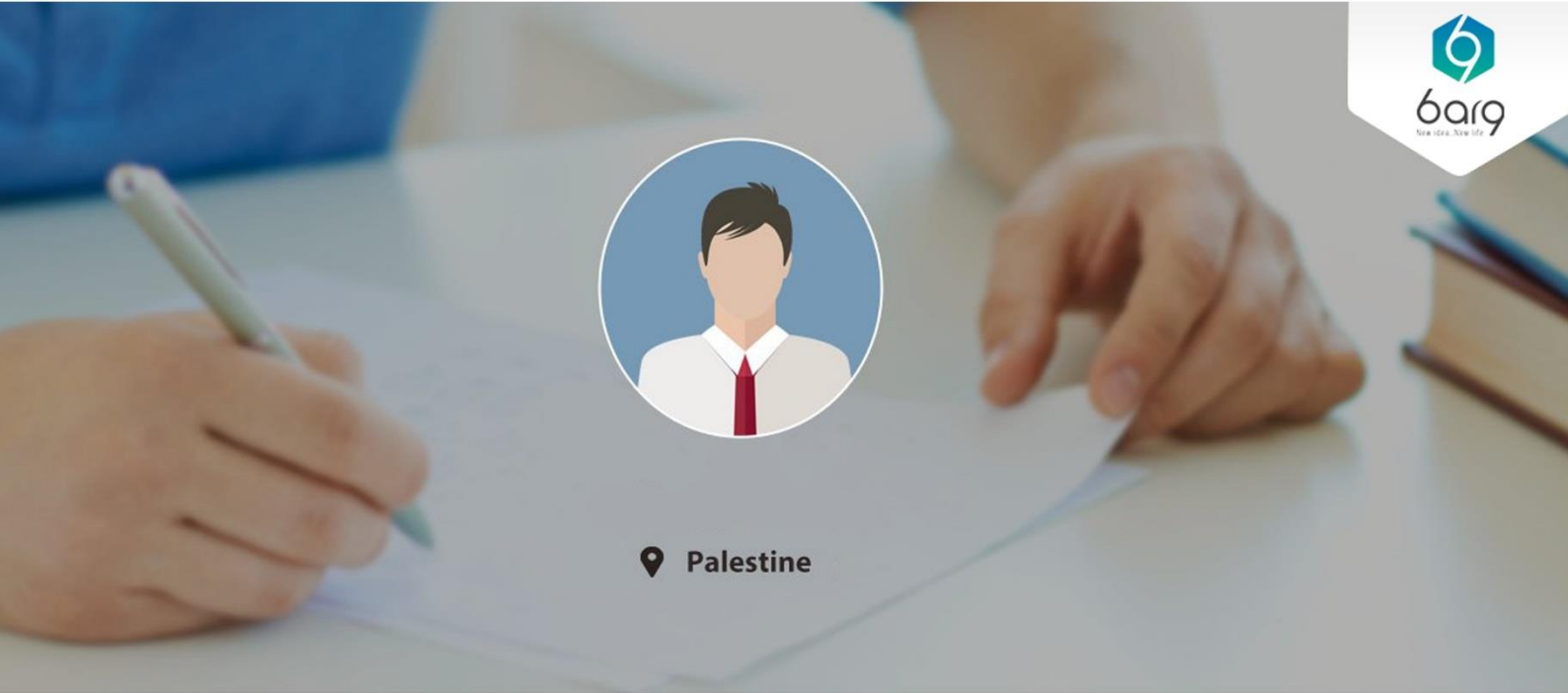


الربيع العربي: هل هو طفرة أو ثورة؟ "إشكاليات وتحولات"

الجزء الثالث



مقال

عبد الله أبو راشد



barq
New idea..New life



barq-rs.com



fb.com/barqrs



info@barq-rs.com



twitter.com/barq_rs



00905373505576

00902125508748



Akşemsettin, Fevzi Paşa.Cd
No:33,34080 Fatih/İstanbul

من الجدير ذكره أنه وفي سياق مطالعتنا لطفرة الربيع العربي علينا أن نعود إلى "أس" الم شكلات العربية التي أدت إلى ما نحن عليه من خراب ودمار للأرض العربية والخيرات المادية والثروات والإنسان، هو كامن في طبيعة التوريبث في مقاليد الحكم والسلطة من ناحية، وآلية نشوء دول المشرق العربية ومغربها، الدول الدمى كبديلة للغزاة الأوربيين والمستعمرين التقليديين. وهي في البدء والنهاية صنيغة الاستعمار الأوربي المشمولة باتفاقيات (سايكس - بيكو) عام ١٩١٦، التي أفسحت المجال رحباً لسياسة "فرّق تسد" البريطانية وغيرها، والساعية لصناعة دول وممالك وإمارات وجمهوريات من ناحية ثانية. وأم ست كل دولة عربية مُعتدة بذاتها وحكامها مُتخذة أقرب طرق للا ستئثار بال سلطة والحكم الوراثي تارة، والحكم الع سكري المو صول بالانقلابات في كثير من الأحوال، تحت ذرائعية مُتخفية ب شعارات كبرى عربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية المركزية تلك الدجاجة التي تبيض دكتاتوريات متعددة المرجعيات ومقولات النهضة العربية والأسامة السياسية. وذهبت رؤى ومحاولات النهوض العربية والقومية والإسلامية الدعوية والجهادية والتربوية أدراج الرياح. تلك التي أدار مفاعيلها - كما أ سلفنا- رواد "م شاريح النهضة العربية الا صلاحية"، و سار على هديهم فلا سفة ومفكرين عرب ومسلمين من مختلف التيارات الفكرية والمجتمعية من أحزاب قومية وي سارية و شيوعية وإ سلامية. وهي في مجملها رؤى وأفكار ونظريات مجيدة في محتواها النظري والفكري لرجال مُخا صين في تجلياتهم الفكرية، وبمثابة إ ضاءات منيرة في دروب العرب المظلمة المو صولة بالجهل والتخلف في ذلك الوقت. والتي غدت أشبه بصورة عاكسة لعصر التنوير الأوربي على الطريقة العربية والإسلامية.

في الأولى ما قبل مؤامرة " سايكس - بيكو" كانت الرؤى والأفكار متماهية ومتناسلة في غالبيتها من واحة الاستعمار الغربي الأوربي أيضاً، ومستعارة من واحة تجاربه لاسيما عصر التنوير التي أعقبت الثورة الفرنسية، أما المرحلة الثانية والمواكبة ليوميات الا ستعمارين الفرن سسي والإنكليزي والتي شهدت نكبات العرب المتعددة وأكثرها ق ساوة وإيلاما "نكبة فلسطين الكبرى عام ١٩٤٨" والتي شهدت فورة فكرية وثقافية ونضالية متعددة الو سائط والآليات والأحزاب، والتيارات والمتأثرة أيضاً بعصر القوميات الأوروبية، ولكن بصورة مبتسرة ومختزلة لا تليق بمقامات الجغرافيا والتاريخ والحضارة العربية الإسلامية، المغيرة تماماً لتلك المجتمعات والمكونات والثقافات الأوروبية قاطبة. نجمها في ثلاثة تيارات رئي سة في مناهجها وبرامجها الفكرية وفضتها الوجودية وهويتها الثقافية كأيديولوجيات تعج بالخصوصية. وهي مُدرجة وفق ما نجتهد، بما يأتي:

- ١- التيارات الإصلاحية والأصولية الدينية المسيحية والإسلامية وما يتصل بها من أيديولوجيات.
- ٢- التيارات القومية والعربية وتفرعاتها الحزبية والأيديولوجية.
- ٣- التيارات العلمانية الشيعية وتفرعاتها الأيديولوجية.

هذه التيارات الرئيسية الفكرية والثقافية والحزبية الأيديولوجية، هي وليدة الواقع العربي المتأزم بغزاته وطغمته والعاكسة لهيئته وشجونته، وسابرة لمفاصل تخلفه وجلاديه من جميع الطبقات والمكونات البشرية وفئاته الاجتماعية التي أفرزتها في نهاية المطاف، والمؤتلفة من جموع بشرية رافضة وثائرة على هكذا اتفاقيات استعمارية في مراحلها الأولى، والتخلص من سطوة النظم العربية الاستبدادية في حالتها الثانية. وكانت كلا الحالتين مُبشراً ببادر النهضة العربية باعتبارها ردود أفعال مناهضة للأوضاع العربية القائمة، وبمثابة المحاولة المشروعة في رفض المظالم السلطوية والاجتماعية. والتي شكلت القاعدة المادية لنشوء الوعي الذاتي الفردي والجمعي لمتقفي النخبة العربية حينذاك، على اعتبار أن مثل هذه النخب العربية هي الواجهة الثقافية والمرجعية الواجب اتباعها والأخذ برأيها في عمليات التعبئة الجماهيرية الشعبية من أجل الوصول إلى سلطة السياسة الحاكمة في هذا البلد العربي أو ذلك. وبقيت الذهنية العربية الشعبية وللأسف، تراوح في مراحل بداوتها الرثة الأولى المُعشبة بروح القبالية والتفكير العشائري والعنقي والطائفي ومسارات التيه، والتجهيل ولم ترتق إلى مستوى المسؤولية والأحداث. والتي لا يمكنها واقعيًا أن تنتج فعلاً ثقافياً عقلانياً يرتقي بأفراد المجتمع عموماً وقبولها الطوعي والنفعي في كثير من الأحوال، المهادنة والموالة للطبقة الحاكمة خصوصاً وتكرهم لدورهم ووظيفتهم الاجتماعية، وتجاوزهم المسؤولية القيمية القانونية والأخلاقية لذواتهم الوجودية والفكرية، ويصدق بهم قول الفصل في الحكمة المتوارية من قصيدة: (الأمم الأخلاق إن ذهبت ذهبوا).

ونرى في يوميات الربيع العربي التي نعتبرها أقرب لتوصيفنا للطفرة، هي حالة رفض وتمرد طارئة، سرعان ما تلاشت في ظلها آمال وأحلام الخارجين في مداراتها اليومية في كل بلد من بلدان الربيع العربي، والذين حملوا راياتها بصورهم العارية التي واجهت الرصاص والموت، وما تزال تواجه أسلحة القمع والطغيان متعددة الوسائط والأساليب. لأنها عفوية بنت ساعتها غير مؤسسة على التراكم النضالي والمطلبية، فضلاً عن فقدانها لقيادة مقتدرة وحكيمة متنا سبة مع حالتها العفوية الطارئة. وغير مُد صنة ببرنامج واقعي ينظم صفوفها ويُسلحها بوعي ذاتها وقدراتها وتوجهاتها، بما يمكنها من تحقيق أهدافها و صمودها لأكثر وقت من الزمن. ويُساعدتها في خوض معركتها المشروعة لمناهضة الطغاة، ويُمكنها أيضاً من عدم التراجع أمام الضربات الدامية والموجعة من الأنظمة الدكتاتورية العربية الحاكمة أو الاختراق والاحتواء. فالنظم الحاكمة القمعية والأمنية الدكتاتورية العربية هي أكثر فعالية وشراسة ووحشية وتودشاً في آليات قمعها وقدراتها في إدارة مفاعيلها القهرية، ومقدرتها الواضحة على كبح جماح حركة الجماهير الشعبية ونكوصها وتشثيت قدراتها واجتماعها وسعيها الحثيث لاختراقها بإحداث ثورات مُضادة، عبر تشكيل معارضة وهمية مؤتلفة من أفراد أو كتل بشرية انتهازية أو ممن يدينون بالولاء التام لخيارات الحاكم الطاغية وأجنداته الشخصية، وخدمة لاستمراره ومصالحه وديمومة بقائه وبقائها. وبالتالي تحقيق الانتصار الساحق

على الفئات الاجتماعية الرافضة والمطالبة بحقوقها. والتي أفقدت الربيع العربي حتى مسوغات طفرته، بسبب قسوة الأنظمة العربية والسلطوية الحاكمة وقدرتها على القمع ومزاولته وخبرتها الفائقة فيه، ولعل سورية أبلغ نموذج في هذا السياق.

في حالة "طفرة" الربيع العربي التي حُرّفت عن مسارها وأهدافها النبيلة فقد اتشحت بوابة الوعي الفردي والجمعي المجتمعي في مدارات الوجود والوطن ومفاهيم المواطنة والحريات ومعابر الفكر والثقافة بالأسود، وغشيت ببؤس الثقافة والمثقفين وخروج حركة غالبية جماهير المثقفين والنخبويين خصوصاً من دثارها الثوري والوطني، ووصمها بعلاقات شبهة وسلوك خارج عن سياق مكارم الوجود والأخلاق، والظهور في مواقف غير مفهومة ولا مبررة بل مشبوهة في كثير من الأحوال. وسارت مثل هذه النخب الثقافية في غالبيتها بمثابة أبواق موصولة في لعبة المصالح الشخصية الضيقة والمزدوجة في مسارات مُغايرة، تنحو عكس تيارها ومناهل أفكارها ومراجعها الأيديولوجية والسلوكية، متدثرة بالأسود الدامي والنفاق السلوكي ومُتحصنة برمادية المواقف، التي تُطيح بكل ما هو جميل ومشرق في حياتنا العربية والإسلامية، لمصلحة السياسة المنافق والمهادن والمبرر لأفعال النظم الشمولية العربية الدكتاتورية وطغمتها الحاكمة. وهذا يدعونا للكاشفة الفكرية والثقافية المرجوة والمُستتهاة في أزمنة انعدامها كطبقة طليعية فاعلة، واغتيالها في وضع النهار.

حيث كانت وما تزال عموم قطاعات الشعب وخاصته وقودها، سواء رغبت أو تخاذلت أو صمتت أو انحازت لحكامها وجلاذيتها وقتلتها، كونها شعوباً مخدوعة أو مقهورة أو مُضللة وبأيديها مكنت الحكام الطغاة من التمسك بالسلطة واستقدام الدمار والخراب وأبخر الدماء المهدورة لأوطانها وشعوبها، وسعت من أجل تكريس أبديتها الحاكمة في استلاب شذاذ الأفاق العالميين متنوعي الأهداف والمشاريع لاستعمار بلادنا العسكري المباشر، واستلاب مُتجدد لخيراتها المادية والبشرية وما يتصل بها من قدرات وإمكانات. وأمسينا كشعوب عربية في حَسبة معيارية واحدة، مجرد عبيد وقطعان بشرية متحركة ندور في فلك بيدر المُستعمر الجديد وأفعال الطغاة وفسادهم. شعوب نعيش الصدمة الحياتية ولوثة الصدام الدامي ما بين الأخوة الأعداء. تلك الموصولة بالتآمر الدولي والعربي في بعض جوانبه، ونماذجها المعروفة مثل: (مؤتمرات هيئة الأمم المتحدة) والنظام العربي الرسمي الحكومي (جامعة الدول العربية) والأيديولوجي (الأحزاب والحركات والمنظمات) بجميع تصنيفاته وأوصافه من (علمانية، وشيوعية، ويسارية، وعروبية، ودينية إسلامية) والغزوات الصهيونية والمجوسية والروسية والأمريكية وسواها. وما فعلته هذه النخب العربية المُثقفنة في غالبيتها، والمتخفية في جلد حربائها الحزبية والأيديولوجية والعرقية والطائفية والثقافية والأمنية والعسكرية الصادمة للحريات خدمة للطغاة من الحكام.

ونحسب أن غالبية النخب العربية تلك الخارجة من جلدنا وتكوينها ودورها الطبيعي هي من أكبر مصائب عالمنا العربي، والتي أصابت طفرة الربيع العربي بمقتل. والتي أثرت أن تستبيح بدورها الم شبه حريات الأوطان والأراضي والهوية والإنسان. نُخب في غالبيتها سقطت وتسقط في أحوال قذارتها ومعابر سلوكها الشائن والمفارقة لأقوالها ونظرياتها، وسوء أفعالها مواقفها وتكرها لذاتها الفكرية ومكانتها الطبيعية، وتخليها عن لعب دور الطليعة الثورية والقدرة على تحمل الم مسؤولية وحمل راية الحرية وكرامة الوطن والمواطنة والإنسان. باعتبارها كانت ذات يوم - كما أ سلفنا - تمثيلاً للطليعة المتوقعة منها الم شيء الكثير وبما كانت عليه كمعقد الآمال في سياقاتها المنطقية، حينما كانت مُنحازة لخيارات شعوبها العربية بخاصتهم وعامتهم. ولملبية لطموحات جماهيرها المتمردة والناشئة والمظلومة والرافضة لمعابر الطغيان العربية، والحاكمة الظالمة القائمة والحد من ظاهرة سرقة خيرات الأوطان المادية والبشرية وسفك دمها واستباحتها. لكنها يا لعارها انحازت للقاتل والفساد وبالتالي خيانتها لطبقتها وتاريخها ومواثيقها الأيدولوجية وأهدافها وبرامجها، وآثرت وقوفها المفضوح بجانب الطاغية الحاكم والمستبد والدكتاتور. فشرائخ النخبة العربية نجدها في غالبيتها أكثر تزمناً وفاشية وقهراً لشعوبها وأوطانها، وبيعاً لمواقفها لمن يدفع أكثر. وكأنها بذلك هي مجرد سلعة في سوق النخاسة الحاكمة، وخديعة سياسية وثقافية وقنبلة موقوتة وصادمة انفجرت وما زالت تنفجر في صفوف الشعوب العربية التي تنادي بحقوقها وحرمتها وكرامتها وخروجها عن حاكمها الدكتاتور والظالم.

فالمجتمعات العربية منذ تفرعات سايكس - بيكو، القطرية، محكومة بثقافة الاستبداد والفساد والانقياد، والخضوع التام لسلطة الحاكم العربي الطاغية منهم (الملك والأميري والجمهوري والأيدولوجي) تلك المفروضة على بلداننا العربية التي عايشت حقبة الاستعمار الأوروبي والغزو المباشري وغير المباشر. وقدمت نماذج هشة لدول حديثة الاستقلال، مُغلقة بتوهمها كدول وبقية بعد الاستقلال الم شكلي مسكونة بالنزعات الطبقيّة والعشائرية، وامتداد طبيعي لذاكرة "داحس والغبراء" ومرحلة البداوة الرثة. ومعبراً منا سباً لمغامري السلطة لا سيما العسكريين منهم لاغتصاب السلطة وخذوع بلدانهم في غالبيتها لأنظمة الحكم العسكري، ذات المنهج والمحتوى الثقافي والفكري والسلوكي المربوط بذهنية "الحذاء العسكري" وشرعة تنفيذ الأوامر بلا مناقشة أو اعتراض أو محاولة عقلانية أو تردد أو تملل من شعوبها واجبارها بسايطها الأمنية والقمعية بجميع مكوناتها وأدواتها، السير في هدى القائد الملهم والمنزه والدكتاتور الممنوح سلطاته من سلطة الرب.

في ظلال النظم العربية الدكتاتورية تم اغتيال الثقافة والوعي الثقافي والفكري بأبشع الصور والأشكال، وأمسست المحاورة أو المثاقفة والفعل الثقافي المحمول بالوعي الجمعي والمجتمعي جريمة كبرى تؤدي بصاحبها إلى مقصلة الإعدام مباشرة وبلا تردد. وكانت الثقافة وما زالت في مفاعيل الوعي العقلاني مُصادرة ومُغيبية. وهي الضحية الأولى

والأخيرة في مسافات وعي المواطن العربي القا صر لذاته ودوره في بناء قيم المجتمع، والمُتد شف على استبداديته المعروفة والمغايرة تماماً لم سالك الوعي الحقيقي القا ضي بإعمال العقل والمكاشفة المحمودة من أجل بناء مواطن ووطن مُعتز بأبنائه وكرامته وحياته وديمقراطيته.

لقد عاشت الشعوب العربية وهم الثقافة وتوهمها كخب رداً من الزمن، وكانت اللحظة الفارقة والكاشفة في طفرة "الربيع العربي" لتكشف تخاذلها في أول تجارب حقيقية لشعوبها في مواجهة الحكام الطغاة والمُصنعين. وبالتالي وضح المواقف والرؤى والرؤيا وتبيان حالات النكوص والخذلان، وخواء الفكر والوعي والممارسة الثقافية في حياتنا اليومية الأسرية والمجتمعية، وبجميع المعابر والمكونات والفعاليات والسلطات المتساوقة مع ثقافة البهائم، وكل حظيرة عربية "مرياعها" الذي يقود قطيعه ودوره الوظيفي في مستوى "بهيميته" وعبوديته لأسياده، ونفعيته وذكورته وغروره وبقائه على رأس قطيعه في سلطة قمعية لشعوبها وخيرات أوطانها وكرامتها.

كانت رياح التغيير العربية الفطرية والعفوية والصادقة في راهن العرب المعاصر، مُتجلية في أبهى صورها من خلال "طفرة الربيع العربي" والتي كانت بداياتها مُبشرة وواعدة ومبتدأها تونس ثم بقية الأقطار اليمن أو ليبيا أو مصر وسورية. لكن وظيفية الحكام الطغاة المُصنعين عبر (سايكس-بيكو) - كما أسلفنا - ومتوالياتها وصولاً لاجتياح العولمة متعدد المجالات والميادين والكاسحة والمراعية لمصالحها الأمريكية، ومصالح التحالف الدولي الأعجمي العالمي والرأسمالي الربوي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ذ صوصاً، والتي تلمست المنطقة العربية مداراتها الأولى وفق استراتيجيات بناء الشرق الأوسط الجديد أو الكبير أو الفوضى الأمريكية الخالقة.

تلك الاستراتيجيات الأمريكية القائمة على اللعب على حبال التوهم والمُشاعر وإذهاب العقول العربية المُفكرة، واتباع ثقافة الاحتواء لعدمي الموهبة والكرامة لتصنع منهم بيادق فاعلة ومتحركة في خدمة مصالحها بيادق بمرتبة حكام عبيد طغاة. وأدخلت العالم العربي ودول الربيع العربي في مأخور التيه والضياع واختلاط جميع الأوراق القيمية والهويات الوطنية والقومية والعقائدية. ولتمسي حركة الجماهير الشعبية والمدنية والأيدولوجية والأصولية الدينية والطائفية المُعلبة الإسلامية والمسيحية وسواها، وقوداً سهلة ومناسبة لتطبيق استراتيجيات "الفوضى الخالقة" الأمريكية بجميع قداراتها، تلك المصنعة في معامل اختبارات الأجهزة الأمنية والعسكرية والاقتصادية المتناسبة ولعبة الأمم والمصالح.

جعلت من "الربيع العربي" بمثابة الثورة المُبشرة بالتغيير وقلب المعادلة الحاكمة، وثورة شعبية عفوية ساعية لإسقاط أنظمة العسكر والاستبداد العربية، وتسعى بالوسائل السلمية أن تُجبر تلك السلطات القمعية على مغادرة مواقعها وكراسيها الفاسدة إلى غير رجعة. إلى مجرد سحابة صيف وتوهم ثورة. لتمسي طفرة "الربيع العربي" نسمة

عابرة في سماء العرب تتلاشى في متاهات العسكرة المقصودة، وتفقد خالصيتها وهدفها وجوهرها من خلال ركب الولايات المتحدة الأمريكية صهوتها وموجتها وتغيير مساراتها، ونجاحها بإخراجها من ميدانها الحقيقي كشعوب ثائرة، وتحويلها لحروب أهلية وحملة سلاح وقتلة إرهابيين وخارجيين على القانون.

ولتنفث فيها سمومها المتناسلة - كما ذكرنا - من استراتيجيات " الفوضى الأمريكية الخلاقة " ولتفعل فعلتها الشائنة والمثيرة للجدل، والقائمة على تشويه م سارات الربيع العربي وفق منطقها العدواني التي أدخلت المنطقة العربية ودول الربيع العربي في مغربه ومشرقه في أتون حروب أهلية دموية وطائفية وأصولية ما بين الأخوة الأعداء. مبنية على مفاعيل مقولة: أن العرب لديهم كل (القبالية للاستعمار) - على حد قول " مالك بن نبي" - والتخلف المستوطن في العقول والحواس والأفعال. وبالتالي استنهاض بداوتهم الرثة وعشائريتهم الدامية والمائلة في سلوك الكبير منهم قبل صغيرهم، والذكورة قبل الأنوثة. ولتنشأ برائين أظافرها القاتلة في المعتقدات الدينية، وتجعلها حروب مستترة حيناً، ومعلنة في كثير من الأحيان على الدين الإسلامي الحقيقي وهدم قيمه وتشويهه وترويج مظاهر إسلامية خادعة، عرقية وطائفية مُصنعة بأيديهم وحصرها في حروب ضروس ما بين سنة وشيعة. تحقيقاً لمآرب عدوانية وأهداف استعمارية متجددة، تنسجم وتاريخهم الحافل بمظاهر حروب فرنجة متعددة الجنسيات. وما اختراع فصائل وحركات على شكلة " داعش وأخواتها"، وتعميم سلوكهم العدواني تحت أكاذيب " محاربة الإرهاب" - والإرهاب في عرف الأعاجم والأمريكي ذو صا هو " الدين الإسلامي السني" - ولتغرق دول الربيع العربي في حروب داخلية وأهلية طاحنة مُبددة للثروات الوطنية والقومية، ومُدمرة للأبعاد الوجودية والتاريخية والحضارية والمعالم الثقافية، وقاتلة للطبيعة وحرية وكرامة الإنسان.

ولا يتوهم أحد قط، أن الولايات المتحدة الأمريكية وعملائها في المنطقة العربية براء، فهي ما زالت مُسكة بخيوط اللعبة القذرة السياسية منها والعسكرية والاقتصادية وخلافه. تحركها وفق رؤية م صالحها وبرامجها التكتيكية والاستراتيجية، عملاً بلسفتها الذرائعية والتبريرية الحالية والقائمة على أساس: (التضحية بالآخر) غير الأمريكي بالطبع. وتصلها منافعها وإتاواتها المالية في راحة تامة، وبالتوازي مع قاعدتها المتقدمة في المنطقة العربية والمتمثلة بالكيان الصهيوني الذي يعيش أجمل أيامه الذهبية من الأمن والأمان وحرية الحركة والتدخل والعربدة العسكرية والدبلوماسية متطاولة المنافع.

لقد فقدت طفرة "الربيع العربي" في ظلال الفوضى الأمريكية الخلاقة في يومياتها الطموحة مبررات فرحتها، وطوت مساحة حلمها المشروع في الحرية والكرامة والتغيير وإحقاق الحقوق المدنية والمطلبية والخدمية البسيطة، واستبدالها بمشاريع جديدة متناسلة مع تجليات الفوضى الأمريكية الخلاقة، وإعادة انتاج سايكس-بيكو جديد على الطريقة الأمريكية لقرن قادم، من خلال ضخ الروح الجديدة في هياكل ميتة وعدمية وآيلة للسقوط، لأنظمة متكلسة

وبالاية فقدت مبرر وجودها وقدرتها على لعب دورها العبودي في مدارات اللعبة الأمريكية الاقذرة. وأية نظرة موضوعية متفدصة لدول الربيع العربي و سورية على وجه التذصيل ت شي بحقيقة الواقع، وحجم المأساة التي تعي شها شعوبنا العربية، ثمنا لبقاء حاكم طاغية ودكتاتور على كرسي الحكم، وجوده على رأس السلطة، يُعد من ضرورات استعمارية أعجمية وصهيونية خالصة أمريكية جملا وتفصيلا. وأصبح الحلم العربي في ربيع مجرطفرة عابرة في مدارات العرب العاربة والمتصهينة.

هذا السلوك الشائن من غالبية النخب العربية المثقفة، ينسحب على جميع فعاليات ومكونات المجتمعات العربية التي كانت تعيش حالة نفاق مع ذاتها النفعية، وم صالحها المغلفة بأوراق "سلافان" زاهية وبراقة وخادعة. وثبت أنها طبقة انتهازية ونفعية ومجرد خدم وتابعين وعبيد لمصالحهم الموصولة بالطبع بمصالح الحاكم العربي الطاغية ودولته الأمنية. تذرأوا لباس الكهان والرهبان والأئمة والمنظرين السياسيين والمبررين لأفعال الحاكم الطاغية و بطانته وحاشيته، و خانوا ذواتهم الفكرية والاستنسابية بأقل المكاسب الأنية الضيقة حفاظاً على رؤوسهم وديمومة بقائهم في ظلال الحاكم الدكتاتور ومنافعهم لديه ومنافعه لديهم، وجوه لعملة واحدة ديدانها قتل وتدمير وفساد وفقدان بشر وخيرات أوطان.

إن المجتمعات العربية تغوص في بحر جهلها وتخلفها، وهي ما زالت مجتمعات رعوية في فطرتها، تعيش بداوتها الرثة بالرغم من مواكبتها الخادعة والمتساقطة مع رياح العصر العولمي والمعلوماتي والتقني، آلية في سلسلة سلوكها وأ شبه بماكينة تقنية متحركة في فضاء العدم التفكري - كما أ سلفنا - مو صولة بثقافة الانتقال الفطري بالعدوى وتقنيات التعلم المُستعار مُنحازة في بداوتها الرثة لثقافة الاستبداد والعشائرية والقبلية، والانقياد البهيمي لسلطة الحاكم بأمره ومزرعته ومملكته وإمارته وجمهوريةته وحزبه وأيديولوجيته.

وهي حالة عامة ومتماثلة في جميع الدول العربية من المحيط إلى الخليج عموماً ودول الربيع العربي على وجه التخصيص. حكام طغاة وحكومات مستبدة و طاغية جملة وتفصيلا عسكرية أو شبه مدينة، وشعوب فقيرة ومُجهلة وتعيش أو ضاعها الحياتية المزرية ومجرد كتل ب شرية ت سير في ركاب م شبيئة الحاكم القائد والمع صوم والدكتاتور بسلطته الأمنية والقمعية المتوهمة بأن سلطانه المستبدة تزيفاً لواقع وحقائق. أو تلك الأكاذيب المكشوفة لسلطتهم الممنوحة من الله ومن الشعب وعلى طريقته الخداعية أي ضاً قوامها القمع والخذاء العسكري والقبضة الأمنية، لا مكان فيها لحرية الرأي والفكر والثقافة والمحاورة. والوطن بجميع مكوناته وثرواته هي ملكية خاصة للحاكم الطاغية ولورثته من بعده، الشعب فيها مجرد بيادق وعبيد منتجين خدمة لمنافع القائد الدكتاتور وحاشيته و بطانته. دورهم فقط فتات لا ستمرار حياتهم في أروقة مزرعته والتي ي سمونها مجازاً وطن. وطن مُختزل ب شخص فرد بحجمه وشخصانيته الفردية الأبدية المفتوحة على القتل والاستبداد والفساد والدم المراق هنا وهناك.

هذا الأمر يقودنا لإجراء مكا شفة منطقية وحوار تفاعلي بناء، ومُ صالحة ثقافية فكرية في جميع أبعادها الوجودية والرمزية والواقعية مع الذات العربية، كأفراد يعيشون في ظلال أسر ومجتمعات محكومة بتاريخ وعادات وتقاليد وثقافة مجتمعية ومعيشة يومية مع الأحداث الكبرى والطفرة، وحكام وأحزاب وتيارات ومدارات أفكار متعارضة ومتناقضة في كثير من الأحيان. وت ستوجب بحكم ال ضرورة هذه المُكا شفة الحوارية ال صادقة مع الواقع العربي ووقائعه المؤلمة والتي تدعو للثناء.

لأن الثقافة الحقيقية والموضوعية ومزاوتها ح سب اعتقاد الحكام الطغاة وحا شيتهم وبطانتهم الأمنية، هي ترف فكري ومضيعة للوقت ومُذهبة لعقول الناس، وتقود لمواقف وأماكن لا يرغبها الحاكم الطاغية ولا يسمح بها، لأن في تداولها ما بين صفوف ال شعب هي حتما نهاية له. ولذلك كانت طلقة الرحمة الأولى والأخيرة من قبل الحاكم العربي الطاغية والدكتاتور والمستبد وأجهزته الأمنية والقمعية متوجهة نحو الثقافة والمثقفين الحقيقيين. واستبدالها بديمومة تواجهه على كر سيه الأبدى. ولتم سي الثقافة الحقيقية ال ضحية والقربان بأن معاً وتُدجن لم صالح الحاكم الدكتاتور وتغدو أداة طيعة خادمة لديمومته. ومُكرسة لفلسفته القائمة على المحو والإمحاء الثقافي وإذهب العقول، وانتفاء مساحات الوعي الذاتي الجمعي والمجتمعي والعودة للبداوة الرثة بجميع مساوئها.

قد شكلت الثورات ال مضاة لطفرة الربيع العربي والمتجلية في أشكال وتشكيلات سياسية واقتصادية وعسكرية، المُنتجة في المعابر المُستحبة والمتاحة لصناع القرار الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في ظلال إدارة الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" في ولايته الأولى والثانية، وشكلت رافعة حامية وداعمة لقوا عدهم العربية المُعلنة والخفية، والمُتجسدة بالحكام الطغاة التي ساهمت في تخيرهم ودعمهم من أجل قمع شعوبهم وسرق خيرات بلدانهم البشرية والمادية. ومن خلال ركوبهم موجة الربيع العربي وطفرتها وطفرتها وصدقها مع شعاراتها المرفوعة: "الشعب يُريد إسقاط النظام" ومراوتها في المكان. وأخرجتها من واحتها وجوهرها المطالبة بالحرية والكرامة وبعض الحقوق. لتحولها إلى مجرد حركات تمرد وانشقاقات وفصائل مسلحة وإرهابيين يحملون السلاح، وخلطت جميع الأوراق الخيرة بالشريرة، بالجاني القاتل الدكتاتور ومواراته بالضحية والمظلوم والمقتول، وافتعال حروب أهلية دموية وطائفية وعشائرية واصولية ما بين أبناء الوطن الواحد، والتسريع في دخول الجميع في الحلقات المفرغة والدوران في مدارات التيه وضياع الهوية والأوطان والمواطنة والتاريخ والأرض والإنسان. وبالتالي الحفاظ على الأنظمة الفاسدة والقاتلة وتمكينها من الحاق الهزيمة بشعوبها ونهب ما تبقى من ثرواتها وتاريخها ووجودها كدول، وتعزيز الأجهزة القمعية والأمنية لأنظمة الطغاة العرب لاسيما في سورية. وما التحالف الخفي معها في سياق مخرجات الحواضن التي تحتويها جعلتها ال سياسية والإعلامية تحت أكاذيب "محاربة الإرهاب". وبالتساوق أيضاً مع فشل دول طفرة الربيع

العربي في الخروج من أزماتهم وما تخلله من أحداث ومتغيرات، تشي بحقيقة الواقع المؤلم لتلك الدول والتي أمست لا تملك قرارها، وهي تابعة هامشية ولعبة متحركة في مسارات الألعاب الدولية والتي تمسك الإدارة الأمريكية سواء أكانت جمهورية أو ديمقراطية جميع خيوطها. وقُبرت أحلام الحالمين من الشباب العربي الذين كانوا وقوداً مجانية لطفرة الربيع العربي. ولم ترتق حركتهم الاحتجاجية إلى مستوى التنظيم والتعبئة الجماهيرية وإنتاج واختيار البرامج المناسبة والقادرة على المواجهة وولادة قادة من داخلهم ومتساوقة مع أحلامهم وأمانيتهم في الحرية ونبيلها بعضاً من الحقوق المدنية والمطلبية المشروعة وبقيت في سياق طفرة عابرة وحسب ولم تصل إلى الحد الأدنى من مفهوم ثورة.

"الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز برك للأبحاث والدراسات"

جميع الحقوق محفوظة لدى مركز برك للأبحاث والدراسات © ٢٠١٧